زاران جوا الاعلى قدميها • ماكان ذنبهما اليك فطالما • منحاك بصفو الود من نفسيهما
كانا اذا ما ابصرا بك علة • جزعا لما تشكو وشق عليهما • كانا اذا سمعا انينك اسبلا
دمعيهما اسفا على خديهما • وتمنيا لو صادفا لك راحة • بجميع ما تحويه ملك يديهما
فنسيت حقهما عشية اسكنا • دار البلى وسكنت في داريهما • فلتلحقنهما غدا او بعده
حتما كما لحقا هما ابويهما • ولتقدمن على فعالك مثلما • قدما هما ايضا على فعليهما
بشراك لو قدمت فعلا صالحا • وقضيت بعض الحق من حقيهما • وقرأت من اي الكتاب بقدر ما
تسطيعه وبعثت ذاك اليهما • فاحفظ حفظت وصيتي واعمل بها • فعسى تنال العفو من ربيهما

الفصل الحادي والعشرون في قوله تعالى هو الذي جعل الشمس ضياء

معنى الكلام جعل الشمس ذات ضياء والقمر ذات نور قال ابن قتيبة انما
سمي القمر قمرا لبياضه والاقمر الابيض وليلة قمراء مضيئة وتبرز الشمس بالنهار
في حلة الشعاع لانتفاع المبصر فاذا ذهب النهار نشرت بردها المعصفر ونزلت
عن الاشهب فركبت الاصفر فتكحل الليل عيون البيداء باثمد الظلماء فالشمس
تستر بالليل لسكون الخلق وتظهر بالنهار لمعاشهم وتارة تبعد ليرطب الجو وينعقد
الغيم ويبرد الهوى فيتشبث النبات وتارة تقرب ليجف الحب وينضج الثمر وانما
قل ضوء القمر لقلة الاحتياج الى النور وقت النوم وقوله وقدرناه منازل
الهاء عائدة الى القمر والمعنى قدرنا له فحذف الجار وقال ابن قتيبة منازل
القمر ثمانية وعشرون منزلا من اول الشهر الى ثمانية وعشرين ليلة ثم يستسر
وهذه المنازل التي كانت تنسب اليها العرب الانواء واسماؤها عندهم
الشرطين • والبطين • والثريا • والدبران • والهقعة • والهنعة •
والذراع • والنثرة • والطرف • والجبهة • والزبرة • والصرفة • والعوا •
والسماك • والغفر • والزبانا • والاكليل • والقلب • والشولة • والنعايم
• والبلدة • وسعد الذابح • وسعد بلع • وسعد السعود • وسعد الاخبية •
وفرغ الدلو المقدم • وفرغ الدلو الموخر • والرشا وهو الحوت قال والهلال
اول ليلة والثانية والثالثة ثم هو قمر بعد ذلك الى اخر الشهر وليلة البدر
ليلة اربع عشرة وسمي بدرا لمبادرته الشمس بالطلوع كانه يعجلها
المغيب وقيل سمي بدرا لتمامه وامتلائه وكل شيء تم فهو بدر ومنه
قيل لعشرة الاف بدرة لانها تمام العدد ومنتهاه والعرب تسمي ليالي الشهر
كل ثلاث منها باسم فتقول ثلاث غرر وغرة كل شيء اوله وثلاث نفل
لانها زائدة على الغرر وثلاث تسع لان اخر ايامها التاسع وثلاث عشر
لان اول ايامها العاشر وثلاث بيض لانها تبيض بطلوع وثلاث
درع لاسوداد اوايلها وابياض سايرها وثلاث ظلم لاظلامها وثلاث
حنادس لسوادها وثلاث دادي لانها بقايا وثلاث محاق لامحاق
القمر اخر الشهر سبحان من جلت قدرته ان تحد كما عزت نعمته ان تعد
دل البصاير بمصنوعاته عليه وارشد الالباب بانعمه اليه كنت كنزا
لا اعرف فلما اراد خلقه مهد الارض بساطا له فلما مدها على الماء مادت

فانقضت

فانقضت عقبان الجبال على طير التزلزل ففرستها قال قتادة
الارض عشرون الف فرسخ اثنا عشر الفا عمران والباقي خراب وقال
ابو الجلد الارض اربعة وعشرون الف فرسخ اثنا عشر الفا للسودان
وثمانية الاف للروم وثلاثة الاف للفرس والف للعرب بسط الارض
لاجلك واخرج النبات لقوتك واجرى الانهار لريك وقسم المخلوقات
في الارض الى ما ينتفع به والى ما يعتبر برؤيته وبنا السماء فتنثر لآلي
الانوار فمتى اشكل عليك تخطيط خطها فالنجوم نقطها وانظر الى
الارض فالشجر اقلامها والانهار مدادها والى ما رقم نقشها فان
استعجم كتاب التفكر في المخلوقات لضعف هجايك فاقرا مسطور وكونك
وفي انفسكم افلا تبصرون ويحك تامل نهاية هذا السفر وترقب سكون
دولاب الفلك فجريان الشمس والقمر يعملان فيك وانت لا تدري ما المراد
الكاينات مراة لعين فهمك ومتى غطى وجه المراة نقاب غبار الهوى
او قتار ظلام الجهل لم تر الحقايق فاجل مراة السر عند صقيل العلم
ليبين لك معنى الصور المشاهدة ومقصود الكل نبات المعاينة
فيسبح لسان الداهش ربنا ما خلقت هذا باطلا يا هذا الق التفكر
في ارض الخلوة وادر حول دار العزلة خندق الحذر وتحصن من
العدو بحصن الاخلاص وسر في فيافي اليقين حاملا زاد التوكل
والحق برفقة القوم في زمرة المستغفرين بالاسحار وانخ بفناء
الفناء عن شهوات النفس وتامل هلال الهدى في صحو التيقظ
وطر بجناح التقى الى فضاء الفضايل لعلك تقع بقاع السلامة
او حضيرة القدس والكرامة على قدر اهل العزم تاتي العزايم
وتاتي على قدر الكريم المكارم يا من يفنا ببقايه ويتقدم بسلامته
ويؤتى من مامنه تيقظ قال الحسن المبادرة عباد الله فانما
هي الانفاس لو قد حبست عنكم انقطعت اعمالكم التي تقربون بها
الى الله كم مستبشر باهلاله متهلل برؤية هلاله اختطفه الموت
في خلاله كم مايل الى جمع ماله تركه تركة ومضى باثقاله هل رحم
الموت مريضا لضعف اوصاله هل ترك كاسبا لاجل اطفاله هل امهل
ذا عيال من اجل عياله كم رام قصرا او دار اعاد ابطاله كم اشرف
على شرف فلم ينظر في خلاله كم حرق ذرعا بنيلا بوقع نباله كم ايتم
طفلا صغيرا ولم يباله كم سد نفسا في بسيطة نفاه وشماله
كم بعث عليلا بالبلى فجعله التراب الى بلاله فرقي روحه الى التراقي
ولم ينظر في حاله اخواني مر الزمان وعظ الالباب فيلقي في الاذن

Copyright © King Saud University